استطلاع صحفي

٥٠ قرناً في المتحف الحربي

جولة بين آثار الماضي والحاضر

(لمندوب الرسالة)

حمى الحرب تهز أطراف كل إنسان . ولئن اختلف الناس في ضرر الحرب وضرورتها فانهم يتفقون في وجوب الاطلاع على تاريخها وحالة جندها ونتائجها . ومصر أمة قديمة لها تاريخها الرائع الذي صحب للدنية من مهدها إلى الآن والمطلع على تاريخها يجد فيها تطور الأسلحة وأدوات القتال من المقطع الصخري إلى المدفع المدمر . فاذا جاز للأمم أن تشيد لها متاحف حربية فان مصر أولاها بهذا الحق

وقد شرعت وزارة الدفاع الوطني في تكوين نواة هذا المتحف ووصلت إلى نتائج طيبة . وأتيح لي أن أجول في هذا المتحف وهو في فترة تكوينه . وهأنذا أقدم للقارئ بعض ما رأيت واجباً أن يتاح له في القريب العاجل أن يرى هذا المتحف بعد أن يتم أمينه النقيب عبد الرحمن زكي أفندي جزءا من برنامجه ، ولست أقول كله لأني أعرف أحجامه ومراميه

ضخموه قرناً من الزمان

إذا خلوت إلى نفسك وطاب لك الاستجمام فاستعرض في مخيلتك تاريخ مصر الحربي منذ فجر التاريخ إلى الآن . فتصور كيف كان المصريون يكافح بعضهم بعضاً في عصور ما قبل التاريخ . ثم كيف كانوا يغزون القرى والبلاد ويفتحون الممالك في عصر الأسر الفرعونية وفي عصور الفرس والرومان والبطالسة وفي العهود الإسلامية . واستمر في وصل حلقات التاريخ من عصر المماليك إلى الآن ؛ ولا يفوتن مخيلتك أن تستعرض الأسلحة التي استعملوها والملابس التي ارتدوها والأسلاب التي غنموها والقلاع التي حصنوها والمواقع الحربية التي اشتركوا فيها بما في ذلك صور أبطال تلك المعارك

وقدر بعد هذا كم تكون هذه الصور واضحة، وماذا تعرف من تاريخ مصر ومن سير أبطال مصر . لقد جلست من قبلك فوجدت أن حقباً كاملة تمر غامضة ؛ بل إن أكثر الفترات وضوحاً لدى كان ينقصها كثير من التفاصيل . حتى الفترة الحالية مع أني أعيش فيها وأخالط رجالها العسكريين وأزور معاهدهم كل يوم ما زالت مبهمة، وما زلت في كل يوم أرى جديداً لم أشاهده من قبل . فإذا استعرضت هذا الماضي الطويل وعرفت أثره في تربية النشء وبث الروح القومية أدركت حاجتنا الماسة إلى متحف يضم تلك الذكريات العظيمة فيشاهد الصبي تحتمس أو رمسيس أو صلاح الدين أو ابراهيم وقد تقلدوا أسلحتهم ودافعوا عن كرامة بلادهم . فهل تظن أن من يشاهد عز أولئك يرضى بالذلة لنفسه ؟ محال ! فالذكرى تنفع المؤمنين

قلعة رمسيس الثالث
هكذا كانوا يشيدون قلاعهم على المرتفعات كي ينالوا العدو ولا ينالهم

مشروع ضخم

وإذا كانت مصر قد عاشت تلك السنين الطويلة بدون متحف حربي عام فقد أنشئت عدة متاحف ضمت عدة مجموعات من الأسلحة أهمها ما هو محفوظ الآن في المتحف الحربي في قصر عابدين . وقد تنبهت وزارة الدفاع الوطني منذ سنوات إلى أهمية هذا المشروع فقررت إنشاء متحف حربي عام عينت لإدارته لجنة من كبار ضباط

قلبية روحية أو تصوير صورة حسية تسمو بالقلب أو ترقى بالروح ، ويمكننا أن نرى من الكتاب من يكتب كل يوم مقالاً ويتقاضى عليه أجراً ، ولكنه يأبى أن توضع لي الفكرة أو تملى عليه إرادة ويأبى ألا أن يوحى إليه ضميره ويفتيه قلبه وعقله ، فلا يمكننا إلا أن نعجب بأدبه وأن نقر بأن أدبه أدب روح لأنه من الروح وإلى الروح ، وكذلك يمكن أن يكون المدح لعظيم يستحقه من مادح لا يبتغي بمدحه إلا تقرير الحقيقة ، أدب روح لأنه يضع لنا صورة حقيقية تسمو بالروح . وبعد فهذا هو ما نراه حداً فاصلاً بين أدب الروح وأدب المعدة ، أرجو أن يقره أستاذنا الدكتور زكي مبارك وأن يكون به من أنصار أدب الروح ، والسلام .

محمود علي قراعة

الجيش المصرى واختارت حضرة النقيب عبد الرحمن زكى افندى أميناً له .

وشرع أمين المتحف من اللحظة الأولى فى وضع برنامج الإنشاء فزار الأماكن التى توجد فيها آثار حربية مصرية سواء كانت هذه الأماكن معاهد عامة أو منازل خاصة . فكثير من ضباطنا الذين اشتركوا فى حروب السودان

هذه تماثيل الضباط والجنود وهم يرتدون الملابس العسكرية

وأغلب أمراء العائلة المالكة يحتفظون بمجموعة ثمينة من الأسلحة وخصوصاً من عهد محمد على إلى الآن . وليكون تنظيم المتحف على أحدث طراز سافر أمينه إلى بلاد أوربا فشاهد هناك أحدث الطرق لحفظ الآثار وأبرع الوسائل لعرضها على أنظار الجمهور حتى تؤدى الغاية المقصودة منها سواء كانت قومية أو تعليمية

وقد يكون من الصعب على الإنسان أن يتخيل صور مصر الحربية خلال خمسين قرناً فإذا قارنا بين إنسان يتخيل صورة وبين آخر يحاول أن يخلق صورة واضحة استطعنا أن ندرك ضخامة العمل وما يحتاج إليه من جهود . فإنشاء النموذج الواحد يستلزم الرجوع إلى عشرات المؤلفات والصور . فها هو مثلاً نموذج لقلعة بنيت فى عصر رمسيس الثالث يتطلب بناؤه زيارة القلعة الحقيقية ومعرفة تخطيطها ثم الطريقة التى تبعها المصريون الأقدمون فى

الى الأمام
جندى يدعو زملاءه إلى النصر ويهتف « لبوا نداء الوطن »

حروبهم والأسلحة التى استعملوها لمغالبة مهاجميهم حتى تتكون لدينا صورة صحيحة عن استعداد القلعة وشكلها وهذا يستلزم منا أن ندرس عشرات المراجع لنتأكد من صحة ما نصنع

فالآثار التى تركها الأقدمون قد عصفت بكثير من معالمها تقلبات الزمن وتوالى الحروب بين غزو وفتح . هذه القلعة التى نراها فى لمحة بصر احتاجت من منشئها إلى عدة سنين استعان فيها بدراسة غيره وخبرة نفسه . فالعبرة فى المتاحف أن تكون معروضاتها صورة تاريخية صحيحة وليست بناء يسهل على الناقدين نقضه وإثبات خطئه

نواة صالحة

ويتكون المتحف الحربى الحالى من ثلاثة طوابق . يشغل الطابق السفلى منه وهو « البدروم » مصنع أعد لصب التماثيل ، وأعمال النجارة لعمل الخزائن الزجاجية التى تحفظ المعروضات . ويشغل فى هذا المصنع فنانون مصريون درسوا الحياة العسكرية فعرفوا دقائق تقاطيع وجه الجندى المصرى إذا اشتبك فى ساحة القتال أو جلس فى ثكنته ينشد التدريب العسكرى ، ويستعد لطوارىء الزمان

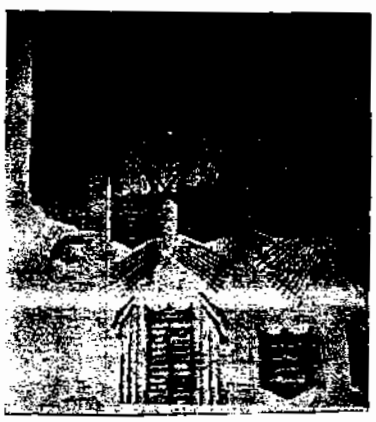

على جدران السلم صفت أنواع من الأسلحة ولوحات كتب عليها تاريخ المواقع وقوادها والبلاد التى تأثرت بالحرب

وهم يوجهون اهتمامهم الآن لتسجيل نماذج الجندى المصرى الحديث فصبوا أجساماً من « المسيص » دهنوها بالأصباغ ، وألبسوها حلل الميدان أو التشريفات . فلا تكاد تراها حتى تشعر بأنك أمام جندى أو ضابط مصرى فى وقفة عسكرية لا أثر فيها للكلفة . وإنى لأضحك من نفسى كلما تذكرت المرة الأولى التى شاهدت فيها هذه التماثيل إذ ما كاد باب الحجرة ينفتح وأرى من فيها حتى رفعت يدى بالتحية ولا سيما عندما وجدت ضابطين واقفين قبالة بعضهما كأنهما يتحادثان

وتعجب أشد العجب إذا عرفت أن هذه النماذج لا تصنع واحداً واحداً بل تصنع بالعشرات؛ فها هى أجزاء نماذج جديدة لن تلبث حتى ترسل إليك نفس الشعور بالحياة . وتتكون هذه العملية من عدة مراحل ، فتصب أولاً أجزاء التماثيل على

انفراد فترى الساق وحدها والصدر منفصلاً عن الظهر، ثم الرأس موضوعا فى مكان آخر.

قارع الطبل
من غنام حرب السودان وفيها يدعو الجندى محاربى قبيلته إلى السلام

ويتناولها الفنان فيكون من هذه الأجزاء المتناثرة المتماثلة وحدة مختلفة بما يسبغه عليها من ألوان، وعلى تقاطيع وجوهها من معجون، يرفع الأنف أو يوسع العينين. ويشرف على هذه الحركة الدقيقة الأستاذ محمد نجيب المثال

صنع فى مصر

وأول ما يواجهك عند دخولك المتحف مجموعة من « المسدسات » صفت على الحائط وكتب عليها « صنع فى مصر » فهى دليل حى على ارتقاء صناعة الأسلحة فى بلادنا فى عهد محمد على.

فإذا دخلت إلى القاعة التالية شاهدت نماذج جنود مصر فى ذلك الوقت وعرفت الأناقة والنعمة التى كانوا يعيشون فيها. وأما الجدران فقد غطيت بالصور المختلفة التى تبين ملابس الجنود وأزياءهم

ويحرص المتحف على أن يقدم لزائريه صورة واضحة عن المعارك التى اشتبكت فيها جيوش مصر، ولهذا ترى لوحات كثيرة رسمت عليها خرط تلك المعارك، فترى مواقف الجنود ونظامهم وكيف سارت المعركة. وأكثر هذه الرسوم هدايا قدمها أمراء العائلة المالكة وغيرهم من رجال مصر تعضيداً للمتحف حتى يحقق برنامجه

مدافع محمد على
وفى الفناء الداخلى صفت مدامع من عهد محمد على وعلى رأسها تمثال المنشىء العظيم

قارع الطبل

وتقسم الطابق الأعلى على فترات التاريخ المختلفة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ إلى الآن كما يضم مجموعة من الأسلحة والطبول التى استولت عليها الجيوش المصرية أثناء حروب السودان، ومنها طبل استولت عليه البطارية الرابعة فى الداورية رقم ٢٧ أثناء تجوالها فى دار فور سنة ١٩١٦ ولتكون الصورة أكثر وضوحاً صنع المثال لهذا الطبل قارعاً وقف يضربه فلا تكاد تراه حتى تشعر بأنك أمام محارب سودانى

ويحتفظ المتحف بمجموعة كبيرة من الصور بعضها رسم باليد لمثل العصور التى لا سبيل إلى إثبات صورها بالفوتغرافيا كالعصر الإسلامى وعصر محمد على وعصر إسماعيل وبعضها الآخر — وتقدر صوره بالألوف — عن العصر الحديث وقد التقطت بآلة التصوير لمعاهد الجيش فى عهدها الحالى، ومن يشاهدها يأخذ فكرة كاملة عن الجيش المصرى فى الوقت الحاضر. ويضاف إلى ذلك مجموعة أخرى أعدت لإلقاء المحاضرات بواسطة الفانوس السحرى، وتنظم هذه الصور بطريقة علمية دقيقة تيسر للناظر الحصول على معلومات طريفة

ميدان حربى حديث
لا يقتصر اهتمام المتحف بالماضى فهذا ميدان حربى حديث ظهرت فيه الخنادق والمدافع السريعة الطلقات وهى محجوبة عن أعين الطائرات

الزمن عبر كفيل

وفى فناء المتحف الداخلى صفت المدافع التى أمكن للمتحف الحصول عليها من عصر محمد على، وهى مجموعة ثمينة تبين تقدم فن القتال الحربى فى ذلك الوقت وأكثرها صنع فى مصر وما زالت حتى الآن فى حالة جيدة يسهل معها استعمالها. ويوجد فى أنحاء القطر المصرى كثير من هذه المدافع وخصوصاً فى الأسكندرية فى القلاع القديمة، ولكن نقلها وتنظيفها يحتاج إلى زمن طويل ونفقات كثيرة ولهذا ينقلها المتحف شيئاً فشيئاً

ويعتمد المتحف فى تنظيمه وتوفير معروضاته على الهدايا التى يقدمها الناس أيا كانت جنسياتهم ومهنهم وعلى المنشآت التى يصنعها عماله، ولكن ضخامة العمل وقلة الأيدى العاملة تقف حجر عثرة فى سبيل افتتاح المتحف للجمهور. فرغم النشاط المبذول ورغم كثرة المعروضات لا نستطيع أن نقول إن ما تم إنشاؤه يمثل خمسين قرناً من الزمان، فمثل هذه المشروعات الضخمة تحتاج إلى عشرات السنين لتظهر أمام الجمهور فى ثوب لائق

(الشرق)